إنشاء اتحاد برلماني عربي على أسس جديدة

للاستاذ أحمد بك رمزي

مقدمة ونظرة عامة :

١ — المجالس النيابية والأنظمة البرلمانية من عمل الأوربيين ، وهي حديثة العهد في الشرق ، فإذا كانت قد نجحت في الغرب ، فإنا نرجو لها نجاحا مماثلا لدينا ، لأنه إذا ثبتت قواعدها ظهرت فعاليتها في أوساط الأمم العربية ، وأمكن أن تؤثر في تطورها ونجاحها . بل إن أمم العروبة في حاجة إلى هذه النظم لتحركها وتهزها وتشعرها برسالتها .

نشير إلى هذا بمناسبة ما توارد من مدينة دمشق عن التفكير الجدي في دعوة الاتحاد البرلماني العربي إلى الاجتماع ، وهي فكرة تستحق كل تقدير وتشجيع من المؤمنين بالأنظمة البرلمانية وتستدعي كل اهتمامهم لأن الديموقراطية لا تزال تسير في مراحلها الأولى ، بل إن بعض البلاد العربية والإمارات الصغيرة ليس لها أنظمة أو دساتير ، فالعرب في حاجة لمن يدعوهم إلى الأخذ بها . ولا تزال فكرة اشتراك الجماهير في حكم البلاد جديدة عندنا ، كما أن إعطاء المدن مسئولية حق التصرف في المرافق العامة وحاجيات السكان لا تزال محصورة في نطاق ضيق ، كذلك فكرة السير نحو تطبيق اللامركزية وتوزيع مسئولية الحكم بين الهيئات المختلفة من مجالس مديريات وبلديات لا تزال في دورها البدائي التحضيري ، ولا يمكن أن تستند أسس الحياة البرلمانية العربية على قواعد ثابتة وتتجه البلاد العربية نحو الديموقراطية الصحيحة قبل أن يتمرن السكان ويتدرب أهل القرى والبلاد والمدن على إدارة شئونهم المحلية أولا ثم يثبت في عقولهم وعي المراقبة والإشراف على المصالح القومية والمسائل العامة : كما نرى ذلك في البلاد الأخرى.

فالحياة البرلمانية يجب أن تقام على أسس اللامركزية التي يجب أن تأخذ بها البلاد العربية في سيرها نحو الحياة الديموقراطية

خارجية عنه) إلى أن قال (أما الأسباب الخارجية التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات ، فافتقر إلى قوة وهمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه ، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته . فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده ، اشتعلت نار الغضب وثارت به ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر ، والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها ، وإما ينبسط الدم إذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه ، فإذا صدر الغضب على من فوقه وكان من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ، ولذلك يصفر اللون ، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومنافعها غليان دم القلب بطلب الانتقام . وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، وإلى التشفي بعد وقوعها والانتقام قوة هذه القوة وشهوتها ، وفيه لذتها ولا تسكن إلا بها) .

هذا وصف الغزالي لغريزتي الخوف والغضب وهما من أقدم الغرائز وأقواها وأفعلها في حياة الفرد والجنس ، الأولى سلوكها سلبي والثانية سلوكها إيجابي وهو المقاتلة بنية الانتقام والتشفي وقد وضع الغزالي كل غريزة من هاتين الغريزتين الأساسيتين في موضوعها الطبيعي بالنسبة للحياة ، بل بالنسبة أن يستهدف الحياة.

ومن يستهدف الحياة مطلقة مجددة لا يطمئن إلا بالهرب من الأخطار والنجاة منها . وأما الغضب والمقاتلة فلا يخلو أمر الحياة معها من خطر مهلك ولهذا فقد وضع الغزالي هذه الغريزة على رأس الغرائز المهلكة .

ومهما يكن من أمر الغزالي في فهمه للحياة فإنه قد فهم الغرائز الحيوانية والطبائع الانسانية فهما صحيحاً دقيقاً كما رأينا .

محمد العسيني

الصحيحة .

يقظة الوعي الجماعي نحو الاتحاد العربي :

٢ — إن المحاولات التي تمت في السنوات الأخيرة بإيجاد هيئات اتحادية بين الدول العربية لا تزال في خطواتها التمهيدية وتعد جامعة الدول العربية خطوة أولى نحو هذا التعاون في الميدان الدولي الحكومي، وقد ظهرت بجانبها هيئات شعبية رأينا منها : منظمة الاتحاد العربي وجمعية الوحدة العربية ، وهي هيئات غير حكومية يقوم بها الأفراد وتتجه مع جامعة الدول العربية نحو إيجاد هذا التعاون والتفاهم المنشود الذي حلم به العرب منذ أكثر من ربع قرن .

الاتحاد البرلماني هادف من هدفات هذا الاتحاد

٣ — فقيام فكرة تأسيس اتحاد برلماني عربي فكرة وجيهة إذا قصد منها تقوية العمل الذي تقوم به جامعة الدول العربية وإذكاء الجهود التي تقوم بها الهيئات التي تمثل الناحية الشعبية الحرة بين الأمم العربية المختلفة . لأن قيمة أي نظام شعبي أو برلماني أو حكومي هي في مدى الجهود التي يبذلها لتحقيق نهضة هذه الأمم ونقلها من الحياة التي تعيش فيها إلى حياة القرن العشرين ثم في مقدار التأثير الذي يوجده هذا النظام في تحويل الشعوب وتركيز الجهود لجعل هذه المجموعة العربية ذات كيان حائز لاحترام وتقدير بقية العالم المتمدين وثقته فيها وإيمانه بأنها شعوب حية قادرة على حمل أعباء الاستقلال والسير به نحو البناء والنماء والتطور .

تكوين الاتحاد البرلماني العربي

٤ — ولهذا نرى من المبدأ أن يكون هذا الاتحاد ممثلا لبرلمانات البلاد العربية وهيئاتها النيابية ، وأن يكون أول أغراض هذا الاتحاد تحقيق التعاون والتفاهم في الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية رغبة في إيجاد نوع من التقارب والتكاتف بين الحكومات والشعوب والجماعات : وهذا مالم يتحقق للاسف. ولئن مجرد وجود فكرة عن تشجيع اجتماع عدد من النواب والشيوخ الممثلين لمختلف الشعوب العربية في هيئاتها البرلمانية من فترة لأخرى ونهوض هيئة إدارية ونوع من الرئاسة ومكتب دائم ، كل ذلك من شأنه أن يساعد في تكوين فكرة عملية واتجاه معين للتقريب بين وجهات النظر في الأوساط البرلمانية إذا أحسن القائمون بهذا الأمر سياستهم وابتعدوا من إثارة الشكوك القائمة بين الدول العربية ، ولم يشغلوا أنفسهم بانتزاع ما هو من صميم اختصاص الحكومات العربية وما هو من صميم عمل جامعة الدول العربية وميثاقها . وإلا فإن هذا الاتحاد إذا بدأ بالوقوع في الاخطاء التي وقع فيها غيره من المنظمات والهيئات كان أثره في يقظة هذه الشعوب ضعيفاً وغير ملموس كغيره من المنظمات التي أشرنا إليها . وفي مقدمتها جامعة الدول العربية .

وأجزم بأن عمل الحكومات العربية وعمل الجامعة العربية سيدعم هذا الاتحاد البرلماني العربي ويدفع به إلى الأمام إذا كانت أهدافه إنشائية أي حينما يشعر المثلون البرلمانيون بعظم الأمانة التي يحملونها ويقدرون أثر الحياة النيابية في رفع شأن البلاد العربية ودفعها نحو الرقي والتقدم كما قلنا .

٥ — إنني أتصور أن يكون في كل بلد عربي هيئة محلية للاتحاد البرلماني العربي يدخلها أعضاء المجالس النيابية من النواب والشيوخ بعد دفع اشتراكهم كأعضاء عاملين كما يجوز أن يدخلها كأعضاء منتسبين كل النواب والشيوخ السابقين ويجوز أن ينضم إلى هذه الهيئة ممثلو الأحزاب المختلفة والنقابات والهيئات المحلية التي تشتغل بشئون التجارة والصناعة والزراعة وهيئات العمال والجمعيات النسائية والجمعيات التي تعمل لكل غرض إنساني أو علمي . وهذه الهيئة البرلمانية المحلية هي التي تتصل بالهيئات المحلية من مثيلاتها في البلاد العربية الأخرى عن طريق المكتب الدائم ورئاسة الاتحاد البرلماني العربي.

وأجد في القاهرة خير مدينة عربية تكون فيها رئاسة الاتحاد البرلماني العربي ومجلس إدارته وسكرتاريته ، وأرى أن تدعو الرئاسة كل عام إلى مؤتمر للاتحاد البرلماني العربي يجتمع كل عام في إحدى العواصم العربية ويشترك في حضوره كافة أعضاء الهيئات المحلية بعدد لا يتجاوز خمسة عشر مندوبا من نواب وشيوخ كل بلد ويمكن أن ينضم إليهم خبراء وسكرتاريون ،

ولا مانع فى المستقبل من زيادة هذا العدد ، وأن يضم إليه أعضاء من الهيئات التى أشرت إليها أو من النواب السابقين بشرط ألا تنقص نسبة عدد النواب والشيوخ عن النصف دائما .

وأفضل أن تكون جلسات المؤتمر علنية وكذلك اجتماعات اللجان إلا إذا دعت المصلحة لغير ذلك .

إن مجلس إدارة الاتحاد البرلمانى هو الذى يدير أعمال الاتحاد ويقرر جدول أعمال المؤتمر ويضع التقرير السنوى وتقرير الميزانية ويراقب تنفيذها .

أهداف الاتحاد البرلمانى العربى

٦ — إن لكل حركة أهدافا معينة، ودعوة قائمة وإذا سارت فكرة الاتحاد البرلمانى العربى على طريقة المنظمات والهيئات التى تقدمتها أى بقيت فى نطاق السلبية أصبح عملها لا أهمية له وحكمت على نفسها بالجمود والأفضل عدم السير فى تكوين الاتحاد والاكتفاء بالحال التى نحن عليها . والسبب فى ذلك واضح وبين يتلخص فى أن علة هذه الهيئات هم الرجال الذين يسرعون الخطى لتصدر الحركات العامة واحتكارها لأنفسهم قبل نضوجهم النضوج الكافى وقبل تهيئة أنفسهم بالعلم الواسع والثقافة الكافيه لهذا العمل . فإذا اجتمع مؤتمر الاتحاد البرلمانى العربى تدافع فريق ممن يعتقد فى نفسه الكفاءة والقدرة والسياسة وبدأ بسماع عدد من الخطب المنبرية المحفوظة أو بعض المحاضرات الإنشائية التى تصلح لطلبة الثقافة أو إتمام الدراسة التوجيهية — ونقول إن المؤتمر درس المسألة المستعصاة فتكتب الجرائد ويصفق الأتباع والأنصار . إن مثل هذا العمل استمر أعواما يهدم فى كفايتنا منذ انتهت الحرب العالمية الثانية أى منذ سنة ١٩٤٥ .

٧ — إنى أسلم بأن المصلحة تقضى بأن تكون حركة الاتحاد البرلمانى العربى حركة تقدمية ترمى إلى تقوية أواصر المودة وإلى بذل النصيحة للبلاد العربية المتخلفة فى مضمار الحضارة والتى يكون عليها واجب إدخال الأنظمة النيابية والهيئات البلدية والإقليمية والاقناع بالأخذ بها بطريقة سهلة واضحة دون مساس بشئون الدول العربية الداخلية ودون إجحاف بحقوق الناس وإنما عملا بالنص القرآنى الكريم «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن

أمام هذه الحقائق الثابتة وتحت نظرة إيجابية غير متأثرة بالعاطفة وضعت مشروعا لتنظيم الاتحاد البرلمانى العربى .

ميثاق الاتحاد البرلمانى العربى ٢٣ أغسطس ١٩٤٨

وليست هذه الفكرة جديدة على رجال العرب ، فقد قررت الهيئة التأسيسية التى اجتمعت بمدينة « صوفر » فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ ميثاقاً للاتحاد جاء فى إحدى عشر مادة كما اقرت نظاماً للمؤتمرات فى جلستها المنعقدة فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ والمطلع على المشروع الذى اقدمه اليوم يجد أنه لا يتعارض مع الميثاق ولا يغير فى نظام المؤتمرات .

وإنما يتجه اتجاهاً شعبياً فلا يتقيد بالقواعد الواردة فى أنظمة المؤتمرات البرلمانية الدولية وانما يعطى بجانب التمثيل البرلمانى العربى للاتحاد الحق فى تمثيل البلاد العربية التى لم تحصل على انظمة برلمانية تحت اشراف جامعة الدول العربية التى تبرز لأول مرة ممثلة فى الاجتماعات وقد أخذت بفكرة تمثيل الجماعات الشعبية مثل الأحزاب السياسية والجامعات والجمعيات السياسية والنسائية من نظام الاتحاد البرلمانى العربى لدول البلقان :

والقصد من توسيع دائرة التمثيل هو جعل الاتحاد البرلمانى العربى ممثلا لرغبات الشعوب العربية ولشتى نواحى التيارات الفكرية ولكى يتجه الاتحاد البرلمانى العربى إلى قيادة العالم العربى نحو الديمقراطية الصحيحة وتأكيد نظام اللامركزية والأخذ بقواعد استقلال سكان كل اقليم بادارة شئونه والعمل على جعل المدن العربية ممثلة بواسطة بلدياتها فى شئون العروبة العامة لحين يأتى الوقت الذى ينظم فيه اتحاد بين البلديات العربية بجانب الاتحاد البرلمانى العربى .

أحمد رمزى
المراقب العام لمصلحة التفتيش
التجارى والملكية الصناعية